آباء طوال

. وفائي ليلا .

أطالبُ بمدينتي كاملةً.
بكلّ ما فيها:
بشحّاذيها ولصوصِها وعاهراتِها
بأوساخِها
بأعلامِها الممزّقة
بكهولِها المرميّين على جوانبِ الطرقات
بأبوابِها التي لا تتّسعُ لقطارِ الفقر أنْ يعْبر.
...
أطالبُ بكلّ شيءٍ:
باعتِها الأوغاد
سائقيها القوّادين
صبيتِها الأشرار
قاسيون الذي يخفي تحتَ جنحِ عتمته
سيّاراتِ متعةٍ مختطفة.
...
أطالبُ بالنهر المتبقّي
مشحات عبورِه الواهن
بأوراقِ الشجر المتساقطِ الآن
بأشجارِ الكينا الهائلةِ الطول؛
بيتنا المثقوب بجرّافة
بقبورنا.. وحارتِنا التي تمَّ دملُها كجرحٍ غائر
بعمليّةٍ جراحيّةٍ فاشلة.
...
أطالبُ بكلّ شيءٍ لأستعيدَه إلى قلبي الميت.
أطالبُ بكلّ برامج تلفزيوننا الرثّ
بهزائمِنا الكرويّةِ على مدارِ خمسين عامًا

وفائي ليلا

مواليد دمشق، ١٩٦٤، مقيم في البحرين. كليّة الآداب، قسم الفلسفة. صدرتْ له أربع مجموعات شعريّة في بيروت ودمشق: **متوقفًا عن الضحك، مغسولاً بمطرٍ خفيف، ما ليس أنا، يعطي ظهره للمرآة.**

بصوت «فاروق بوظو» وهو يعزّينا بخسارةٍ أقل.
أطالبُ بكلِّ الفقرِ وكلِّ القهرِ..
بمسلسلاتنا التي خدعنا فيها ممثّلون ثقاة
فضحوا كلَّ الغشِّ الذي يحدث
وناموا في سريرِ الملك.
أطالبُ بالراقصاتِ في مقهى الكروان
و«الطاحونةِ الحمراء» قبل أن تسطو عليها «نيكول كدمان» في
فيلمها الشهير ذاك؛
شرائط الكاسيت الهورنو التي كنّا نسمعُها «لعصام» وحبيبته
التي ترعى انتصاباتنا الأولى بحنانٍ أشقر؛
بأغاني «مها عبد الوهّاب» الفاحشة.. بسرّتها التي ترشدُنا
من خلالِها إلى الأسفل
أطالبُ بعمرنا الذي هُدِرَ..
بكلِّ ضرباتِ المساطرِ والكفوفِ والتبوّل اللاإراديّ في
الصفوفِ المتعاقبة؛
أطالبُ بالمدراءِ القساة،
والطلابِ الذين يضيّعون علينا فرصةَ الفهمِ..
بمهرجانِ صراخٍ مجنون.
أطالبُ بالغثيان.. و«مرحبا يا صباح»
السابعةِ والربع، وصوت فيروز الملدوغ بأغنيةٍ بائتة
وزعترٍ من احتشاءٍ صعب.
...
أطالبُ بجدٍّ نذل
وبردِ بيتٍ هائل
ويد أبٍ لطالما تهدّدتنا بالطرد.
أطالبُ بجدّةٍ تبكي كلَّ الوقت
موتَها الذي تأخّر كثيرًا
وحفرَ في قلوبنا خطَّ انهيارٍ لا يرقأ.
أطالبُ بوسائدَ ليست مناسبةً لنا
وأغطيةٍ كيفما اتّفق.
أطالبُ بـ«الطرّاحات» تفوحُ منها رائحةُ البول
و تغطّى بمشمّعاتٍ قاسيةِ الحواف وباردة
تأكلُ بمخالبها خواصرَنا بفكٍّ الحقد.
أطالب بسرقاتنا الصغيرةِ من جيبِ آباءٍ طوال
والسطو على قدورِ اللحم
في مطبخِ العزلة.
أطالبُ بالعتمةِ التي ميّزتْ بيتَنا
بخطّين داكنين تحت عينيّ أمّي
شعرها المبثوث كصرخةٍ رغمَ خرسِها الممعن؛
أطالبُ بصمتِها الأبديّ، صمتِها المُتّهم،
ودخانِ الأبِ الدائخ في الحديقة
بكرسيّه العرش
برائحةِ العرقِ، باليانسون المقطّر،
وصخبِ ضحكات أصدقائه السكارى.
أطالبُ بأمٍّ كلثوم التي تثملُ آخرَ الليل في الغرفةِ الجوانيّة
مع أبٍ يترنّحُ متمايلاً
بعنقٍ مائلةٍ وكفٍّ تراقصُ الهواء
نكتشفُ حنانَه متأخّرًا مع امرأةٍ تديرُ أسطواناتها كلَّ مساءٍ
له
دون اكتراثٍ بأحدٍ.
...
أطالبُ بكلِّ شيءٍ فُقِدَ فيّ أو ما يزال يرنُّ في أعماقي
بخيباتي وفشلي في الصفوفِ كلها
والشهادات التي لم أُحصّل
والنتائج التي لم تكن باهرة؛
بشاعرٍ فاشلٍ ظنَّ نفسَه أطولَ الجميع.
أطالبُ بكلِّ الحمقِ والمحدوديّةِ والضآلةِ والقصر
كي أرزمها دفعةً واحدة،
وبعودِ ثقابٍ واحد
أوقدُ فيها النسيان
كي أعبرَ.